This article has been scanned by iThenticate No plagiarism detected

Volume 3, Issue 5, October 2021
p. 306-317

THE BEHAVIORAL EDUCATIONAL THOUGHT OF ABD AL-HAMID IBN BADIS AND ITS CIVILIZATIONAL DIMENSION

<http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.5-3.27>

Saida FERDI ¹

Abstract:

Sheikh Abdul Hamid bin Badis is considered one of the pioneers of renaissance and reform who had a prominent impact in the movement of renewal and social change to advance the nation change its deteriorating reality through an educational system and intellectual educational program within his comprehensive civilizational reform project, where he attached great importance to the consideration of education as the basis of any civilizational building. He has all his time and effort. His biggest bet was on changing man to change his reality and to pay attention to his reconstruction mission according to the Quranic civilizational cosmic vision.

Key words: Educational Thought, Education, The Civilizational Dimension, Abdul Hamid Bin Badis.

Received :
01/09/2021

Accepted:
20/09/2021

Published:
01/10/2021

¹ Researcher, Zitouna University, Tunisia, ferdisaida1@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0001-6844-4650>

الفكر التربوي التعليمي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس وبعده الحضاري

سعيدة فردي²

الملخص

يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس من رواد النهضة والإصلاح الحضاري الذين كان لهم أثر بارز في حركة التجديد والتغيير الاجتماعي للنهوض بالأمة وتغيير واقعها المتردي وذلك من خلال منظومة وبرنامج فكري تربوي تعليمي ضمن مشروعه الإصلاحي الحضاري الشامل حيث أولاه الأهمية البالغة باعتبار التربية والتعليم أساس أي بناء حضاري فسخر له كل جهده وقته وكان رهانه الأكبر على تغيير الإنسان ليتغير واقعه و لينتبه لمهمته الإستخلافية التعميرية وفق الرؤية الكونية القرآنية الحضارية.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي، عبد الحميد ابن باديس، التعليم، البعد الحضاري.

المقدمة:

لا مندوحة ان الأمة الإسلامية تعيش غيبة حضارية شاملة رغم كثرة محاولات النهضة الإسلامية التي تمتد على ما يقارب الثلاثة قرون فمنها ما كان في صبغة مؤسسات ومنها ما اقتصر على الصبغة الفردية ورغم اختلاف كل منهما من حيث المنهج والوسائل إلا أنهما يشتركان في المنطلقات والمقصود الذي يصبوا إلى تحقيق الشهود الحضاري.. ومن ضمن المحاولات الإصلاحية النهضة ما جادت به قريحة وفلسفة التغيير المتناسبة مع روح الدين والاتجاه الأخلاقي الفاعل عند علامة الجزائر عبد الحميد بن باديس " 1886م-1940م " وذلك من خلال طرحه لقضايا التربية والتعليم وما بذله في ذلك من جهد مؤسس للإصلاح الاجتماعي والنهوض ببلده الجزائر من كبوة الجهل والتراجع الحضاري الكبير بسبب الغزو العسكري والثقافي الفرنسي الذي هدم صروح الثقافة المزدهرة كغلقه نحو ألف " 1000 " مدرسة في وجه ما يزيد عن مائة وخمسين " 150 " ألف طالب وتشريد الكثير. لذلك فإن ورقتي البحثية هذه تحاول سبر أغوار هذا المشروع التربوي التعليمي الباديسي استقراء وتنزيلا مع بيان مدى إسهام جهوده التعليمية التربوية في النهوض الحضاري المنشود للأمة الإسلامية من خلال جهوده وانجازاته كجمعية "العلماء المسلمين الجزائريين " التي أسسها لهذا الغرض ولسان حالها المتمثل في الصحف المعروفة مثل "الشهاب والبصائر..". والسؤال الذي يطرح نفسه وتستوجبه هذه الدراسة ما مدى كفاءة وصلاحيته ومساهمة المنهج والمشروع الفكري التربوي التعليمي الباديسي في بناء الصرح التجديدي للنهوض الحضاري المنشود للأمة الإسلامية اليوم ومارؤيته وفلسفته في النهوض الحضاري من خلال مشروعه التربوي التعليمي..

نهضة الأمة في فكر عبد الحميد بن باديس:

إن سؤال النهضة في الفكر الباديسي يتجلى لنا من خلال شخصيته المتعددة الجوانب والتي من أبرزها الجانب التربوي التعليمي الي كرس له 27 عاما من حياته خادما له إلى جانب المهام الأخرى المكملة لنشاطه التعليمي فهو مصلح اجتماعي ومفكر ومعلم ومربي قضى جل عمره في تربيته الأجيال تربية أصيلة ثقافية حضارية وصحفي قدير مرشدا وموجها للرأي العام بمختلف شرائحه وهو مجاهد وشاعر وأديب وخطيب حصيف مفوه يشنف السامعين ويشدهم إليه ومفسر لكتاب الله مذكرا بآيات الذكر الحكيم فهما وتنزيلا..و من خلال رؤيته لأهمية التربية والتعليم في النهوض الحضاري ونظرته للإنسان محور خطته التعليمية وهدف مشروعه الإصلاحي وإدراكه للواقع وما آل إليه حال الأمة من انحسار حضاري وتخلف وتكالب أعدائها عليها، فنجد له رؤية تجديدية لواقع بلاده وما آل إليه من خلال منطقته وتصوره ورؤيته للتغيير..ويمكننا أن نقول أنه أسس لفكرة التغيير من خلال وجهة نظره الخاصة فهو يعتبر نهضة الأمة نهضة وعي وفهم عميق وتصحيحا للمسار وتجديده للفهم الصحيح للإسلام وأحكامه ومعالمه الكفيلة بإحداث التحول في واقع الأمة "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(الرعد، 11)

² الباحثة، جامعة الزيتونة، تونس، ferdisaida1@gmail.com

ثلاثية النهوض الحضاري في الفكر الباديسي: رؤيت الشيخ ابن باديس وفلسفته في التعبير النهضوي يمكننا يمكننا جمعها في فيما يلي: الإسلام الذاتي - القرآن الكريم - الإنسان.

(1) الإسلام الذاتي: أي تجديد الفهم للفكر الإسلامي فهما عميقا هادفا و معرفة بناء بمنطلق المرجعية الأصلية لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(2) القرآن الكريم: المرجعية الربانية وهو الوسيلة والمنهج..

(3) الإنسان: محور التغيير ومحله والمؤثر والمتأثر بالواقع بفكره وغرائزه وعقائده وأعماله..

فلا نهوض حضاري للأمة في الفكر الباديسي إلا بتجديد الفهم للإسلام أو كما سماه بـ "الإسلام الذاتي" القائم على الفكر والنظر بالعلم والتعلم والتفقه والتبصر لا بالإسلام الوراثي القائم على التقليد والإلتباع دون نظر واجتهاد وتجديد وبـ "القرآن الكريم" على نهج وخطى محمد صلى الله عليه وسلم والقرون الأولى بحكم أن حال الأمة الحاضر والراهن لا يصلح إلا بما صلح به أولها وبـ "الإنسان" محل الخطاب الرباني ومحور استراتيجية التغيير العملية التغييرية للاستخلاف العمراني ومحور التجربة الإصلاحية الباديسية.

الإسلام الذاتي: فلإسلام الوراثي في الرؤية الباديسية إسلام تقليدي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير وإنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء أما محبة أهله له محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان (طالبي، 1997م) ولكن هل نرفض هذا الإسلام ونعتبره نقيصة في وضع الأمة أم أن له مزايا من حيث كينونة الأمة وهويتها ووجودها،

طبعاً فهو يعتبر أن هذا الموروث حفظ للأمة الضعيفة المتمسكة به وخصوصاً العربية منها شخصيتها ولغتها وشيئاً كثيراً من الأخلاق ترجع به الأمة الإسلامية إذا وزنت بغيرها (طالبي، 1997) ومع ذلك فإن الإسلام التقليدي "لا يمكن أن ينهض بالأمة لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبيه أفكارها وتفتح أنظارها وأن هذا الإسلام الوراثي التقليدي فلا فكر فيه ولا نظر" (طالبي، 1997، ص 241) فالجمود الفكري والعزوف عن التفكير والتجديد والاحتجاج كما هو معروف ومسلم به يعد من معوقات النهوض الحضاري.. وكأن ابن باديس وكغيره من المفكرين المسلمين شخص لنا أزمة الأمة المتمثلة في الفكر والوعي والفهم لأن "القضية الفكرية قضية أساسية شديدة الأهمية بإجماع مفكري الأمة ثم إن وضعها في المقام الأول لا يعني إلغاء القضايا الأخرى التي لابد من توافرها جميعاً من أجل الوصول إلى نهضة صحيحة تقوم على أساس الإسلام.. فلقد صدرت في قضية الأزمة الفكرية وتكوين العقل العربي وإعادة تشكيل العقل المسلم وقضايا الفكر والمنهج الإسلامي دراسات عديدة (أحمد أبو سليمان، 2003م) لذا نجد فيلسوف الحضارة مالك بن نبي في كتابه "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" يعتبر أن مجتمع ما قبل التحضر ومابعد التحضر لا يفكر إلى الوسائل وإنما إلى الأفكار.. وأن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تصنع التاريخ بتقليد خطى الآخرين في سائر الدروب التي طرقتها بل أن تفتح دروبا جديدة ولا يمكن أن تحقق ذلك إلا بأفكار أصيلة تستجيب لساكن المشكلات (بن نبي، 2002) أفكار يمكن من خلالها إدراك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله والتفقه حسب القدرة والطاقة في النصوص المنزلة من القرآن وكذلك الهدي النبوي والأحاديث ويبني ذلك كله على الفكر والنظر.. فالتفكير في آيات الله السمعية وآياته الكونية وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على الفكر تنهض الأمم فتستثمر ما في الأرض وتشيد صروح المدنية والعمران (طالبي، 1997م) وهذا لا يتأتى إلا بالعلم والتعلم والتعليم وبما أن أمة -محمد صلى الله عليه وسلم- مطالبة شرعاً بذلك بفرضيه طلب العلم.. فالتعليم وتنوير العقول عند ابن باديس سبيل النهوض وهذا ليس تطوعاً ونفلاً وإنما واجباً دينياً وشرعاً لأن المسلم لا يكون مسلماً حتى يتعلم، كما أنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. "إذا فحن المسلمون مطالبون دينياً بأن نكون مسلمين إسلاماً ذاتياً ولذلك سبيل واحد هو التعليم" (طالبي، 1997، ص 242)

فتجديد فهم الإسلام بقاعدة الحفاظ على أصالة الثوابت والنظر في المتغيرات والمستجدات والتحويلات من منطلق المرجعية والمصدرية الأصلية الأولى والاساس وهي القرآن الكريم ولتأكيد ذلك منه عملياً فقد بنى منظومته التعليمية التربوية الإصلاحية والتغييرية وأسسها على القرآن الكريم كأسلوب من أساليب المقاومة والتحدى في وجه سياسة المحتل المكرسة للتجهيل وطمس المعالم الثقافية والقيم الدينية ومسح للشخصية الإسلامية..

القرآن الكريم: كان من عوامل تكوين شخصية ابن باديس وهذا العامل يفوق غيره من العوامل وقد وهب له الشيخ عبد الحميد بم باديس الجزء الأكبر من حياته الخصبة ويتدبره ثم يفسره للناس في "الجامع الأخضر" بمدينة "قسنطينة" من أجل هدايتهم به حتى أتمه تفسيراً ودراسة في خمسة وعشرين عاماً (تركي، 2003م)

كما كان للقرآن الكريم أثر في الاعتماد عليه في الحركة التربوية التي نهض بها في الجزائر (في الفترة من عام 1913 حتى عام 1940) ويؤكد لنا ذلك قوله: "ثم الفضل أولاً وأخيراً لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه، والتفقه في أسرار

والتأدب بآدابه، وأن القرآن الذي كون رجال السلف، لا يكثر عليه أن يكون رجالاً من الخلف، لو أحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على منهاجه. ثم يقول ذلك إذا لم يكن في حياتي العلمية من لاف للقرآن إلا تلك الكلمة التي سمعتها من الشيخ محمد النخلي، وقد فعلت فعلها في نفسي وأوصلتني في فهمي للدرجة التي تحمدونها اليوم فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم للقرآن في كل يوم وغايتنا التي ستتحقق إن شاء الله أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها" (ابن باديس، الشهاب، 1938م)

"لا تكون لنا نهضة دينية إلا بالقرآن" قالها ابن باديس مدركا كنهها وأبعادها وعلى يقين بصلاحياتها في التغيير مبرها على صحة كلامه علمياً وعملياً رغم اختلاف الزمان والمكان والحال فهو كما يقول عن نفسه "رجل طالب قرآن" حفظه في العشرين من عمره لما أخذ شهادته من جامع الزيتونة المعمور وهو لا يفهمه وما سمع من أحد أن القرآن يقرأ للفهم ولا يعرف أن القرآن كتاب حياة وكتاب نهضة وكتاب مدنية وعمران وكتاب هداية للسعادتين.. وإنما بدأ يسمع ذلك ويدركه يوم جلوسه إلى شيخه العلامة الأستاذ "محمد النخلي" كما ذكر أنفاً (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1985م) وقد ثمن فيلسوف الحضارة مال بن نبي هذه الوجهة الباديسية في قيام النهضة "وإنه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى، كان هذا صادراً عن عقيدة قوية ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهرة" (بن نبي، 1986م، ص25)

وقد عد العلامة ابن باديس آية كريمة من القرآن الكريم بأنها جديرة بأن تدعى آية النهوض الإنساني وهي قوله تعالى "قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرداً ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد" (سبأ 46) فالقيام هنا في رأيه هو النهوض من جميع وجوهه لا القيام على الأرجل "ضرب الحضرة" ويقصد به أحد طقوس الطرق الصوفية السائدة في ذلك الوقت والمؤثرة سلباً في واقع البلاد ولو كان هذا مراد أو فهمته العرب منه لما سادوا المعمورة "وإن النهضة إذا كانت لغير الله لا تخلو من ضرر يعود على النوع الإنساني من وجهات شتى وإن نفعت قوماً من بعض الوجوه ولما كانت نهضة العرب لله شهد لهم علماء الغرب بأنهم لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم وإلى قوله "مثنى وفرداً" وماقيه من التنبيه على نهضة الفرد ونهضة الجمع وإلى قوله "تفكروا" في هذا الأسلوب الذي أفاد أن أساس النهضة هو التفكير المتجدد وضموا إلى قوله تعالى "كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة" (البقرة، 220) فجعل التفكير فيهما وقدم الدنيا على الآخرة لأنها الطريق إليها وأبطلت الآية زعم كل مهون لأمر الدنيا وصارف للقول عنها ووالله إنه لا كمال لإنسان إلا بالدنيا والآخرة (م وزارة الشؤون الدينية 1985)

يمكننا أن نستخلص من هذا أنه من خلال تفسير ابن باديس لهذه الآية الكريمة حدد المنطلق ورسم الغاية ووجهة النهوض الحضاري بالفكر المتجدد والمعرفة الصحيحة والمعقولة من منطلق قرآني وتوجيه رباني وبمفهومه الصحيح المتعدد الجوانب كما فهمه ووعاه الرعيل الأول نهوضاً خالصاً بعيداً عن أي توجه أو مصلحة ذاتية أو جماعية بل لله ولمصلحة الإنسانية وإقامة الحق والعدل.

الأصول الأربعة لنهضة الإنسان بالقرآن عند ابن باديس:

إن العلاقة بين الإنسان والقرآن هي علاقة الروح بالجسد فالقرآن حياة الإنسان فالإنسان مكون من عنصرين: الطين والروح والعنصر الطيني مسير من العنصر الروحي فهو الذي يقود الإنسان للخير والشر (البوشخي، دت) فالإنسان عند الشيخ ابن باديس "إنما هو إنسان بفكره، وغرائزه، وعقائده، وأعماله المودعة هذه كلها في جزئه المحسوس الفاني وهو هذا الجسد، وجزئه المعقول الباقي وهو الروح، وبهذه الأصول الأربعة ينهض الإنسان أو يسقط" (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1987، ص47) فالإنسان الواقعي عند ابن باديس روح وجسد وما يميزه عن الحيوان هو العقل المفكر وفي هذا يتوافق مع ديكرت في مقولته "أنا أفكر إذا أنا موجود" فالعقل الناضج والفكر الواعي والقلب المستنير هي ما دأب ابن باديس على إيجادها وتمثلها في الإنسان الجزائري حتى يكون مؤهلاً للبناء الحضاري والفعل التغيير (بن مزور، 2015) فالإنسان يكون إنساناً في الفكر الباديسية بالحقيقة الشاملة للفكر والروح والدوافع والإعتقادات التي تحصل عن طريق التعلم وإعمال الفكر وكذلك الأعمال التي يمارسها الفرد فالإنسان في نظر ابن باديس كل متكامل فكر وغريزة وعقيدة وعمل.. ومن هنا كان الإنسان في فلسفته محور كل تغيير وإسناد كل نهضة وقد أقام البرهان على توجيه العناية إلى هذه العناصر وفق مناص عليه القرآن هو الطريق إلى تحقيق النهوض الإنساني وهو المنهج الذي سار عليه في مشروعه التعليمي (فضيل، ماي 2012م)

1- أصل الفكر: إن مهمة الإنسان التعميرية والإستخلافية والتكليفية منوطة بالعقل الذي حباه الله به وبقوة تفكيره وحسن تسييره للأموره وسائر شؤونه..

فالإنسان كان وسيبقى سيد العالم بعقله وقوة فكره سيطرته على عناصر المادة وأنواع الأحياء، ونهضته بإطلاقه للنظر في جميع المحسوسات والمعقولات و الانتقال فيها من شيء إلى شيء لتحصيل المجهول من المعلوم مع احترامه في ذلك النظر والانتقال ثم يقول: "والقرآن يا سادة في غير ما آية منه يعرض آيات الأكوان وآيات البيان على الفكر الإنساني ويدعو للنظر ويرغبه فيه ويحثه عليه ويحترم هذا الفكر في الإنسان فلا يحتج عليه إلا به ولا يخاطبه إلا من ناحيته" (م و ش د، 1987، ص 47) مستشهدا بالأبيتين الأنفة الذكر (قل إنما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله...)(وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون...) فالعقل المسلم أجدر بوعي ذاته وللكون للتمكين والشهادة على الناس.

2- أصل الغرائز:

بين القرآن وغرائز الإنسان علاقة مطردة فيما أن الإنسان خليفة الله في أرضه وغرائزه مطبوعة ومفطورة على هذا التكوين الخلفي ورغبات النفس وشهواتها وشبهاتها قد تعيق مسار ومهمة الإستخلاف فهنا لابد من رجوع للقرآن لتنتقيتها من تلك الشوائب لذا نجد ابن باديس يقول أن "القرآن معلم أخلاقي عظيم" حيث تظم آياته ذكر أصول الخير وما ينميتها وذكر أصول الشر وما يميئها وينجيبها وكل ما يزكي النفس وما يفسدها، ببيان منافع طريقة تلك لتركب ومضار طرائق هذه لتجنب، ونهضة هذه الغرائز بمقاومة ما فيه من أصول شرو إنماء ما فيه من أصول خير (م و ش د، 1987) وهذا هو قانون التحلية والتخلية المستمد منهجه ودستوره الأخلاقي من القرآن الكريم يوجه الغرائز الى وجهتها الإستخلافية الحضارية بالتربية والتعليم هنا يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: "وجود الإيمان هو الذي ينظم هذه الغرائز ويعليها ولا يقتلعها، فلو أراد الإيمان أن يقتل الغرائز فلماذا خلقها الله ؟ إذن هي لها مهمة والإسلام لا يصنع من المؤمن مؤمنا جامد القلب بحيث ينطبع على شيء واحد وهذا الشيء هو أن يسلم قياده لمنهج خالقه" (الشعراوي، فيفري، 2020م)

3- أصل العقائد:

ويراد به المعرفة المبنية على اليقين لا الظن سواء كانت معرفة دينية أو دنيوية لأن القرآن في غير موضوع منه يدعو الى العقد الحق المبني على العلم واليقين، مبني على المحسوس في باب المحسوس وعلى المعقول في باب المعقول حيث أن القرآن ينهي عن الإكتفاء بالظن إلا حيث لاسبيل إلى غيره قال تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم " (الأسراء، 36) "وأن الظن لا يغني من الحق شيئا" (يونس، 36) م و ش د

4- أصل الأعمال: كما هو معلوم كل تصور صحيح وصواب ثمرته عمل صالح..

فأعمال الإنسان المبنية على فكره وغرائزه وعقائده، حيث اذا استقامت استقام عمل الإنسان واذا كانت معوجة كانت أعماله مثلها والقرآن في نهضة الأعمال تتبع أصول الأعمال فوضع لها قوانينها على قواعد الحق والصدق والرحمة والعدل والإحسان..

ويعتبر ابن باديس بهذا البرهان العلمي وهذه الأصول الأربعة القرآن كفيلا بنهضة الإنسان نهضة حقيقية تبلغ به إلى بقاع السيادة والكمال (م، و، ش، د 1987)

هذه الأصول الباديسية الأربعة للنهوض جديرة بأن تخصص للدراسة وتمحيصا واستقراء واشتتارفا من أجل رسم وتأسيس لمعالم النموذج للفكر الإصلاحية الإنسانية الحضاري..

وهذه الأصول لم تكن مجرد تصور لفهم ووعي معين بل كانت من استراتيجيات إنجازاته من خلال مشروعه الإصلاحية ضمن منظومته التعليمية التربوية بصفة خاصة قدوة واقتفاء لأثر النموذج الأول المسجد في نهج النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به في ظرف كانت الأمة تعيش انتكاسة حضارية في أمة أمية لا علاقة لها ولا اطلاع بحال غيرها من الأمم وما آلا اليه لأنها مكتفية بواقعها فحسب ولا علم لها إلا بما يناسب أميتها وبدواتها كما أنها منحطة في غرائزها تعيش على النهب والسلب والسفك والخمر والميسر كما أنها منحطة في عقائدها وكفى بعقيدة الشرك قبحا وضلالا وليس هذا وحسب بل منحطة أيضا في أعمالها فقد كان القوي الذي يأكل الضعيف مع غياب النظام والعدل والرحمة وكان المصطفى مخلصا وهاديا ومعلما ومبيناً " كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس نت الظلمات على النور" (إبراهيم، 1) ..حتى سادت العالم ديانة برهانية وملكا عادلا في عصر الصحابة ثم مدنية راقية وعلما زاهرا في عصر اتباع التابعين.. هكذا نهض القرآن بالأمة حيث لا نهضة الا به (م، و، ش، د، 1987) فكما انطلق التغيير في صدر الإسلام من واقع الجاهلية وتحدياتها كذلك جاهلية أخرى في زمن اخر و بلباس آخر تتطلب أيضا التجديد والتغيير على يد نخبة من العلماء تجمعهم

غاية واحدة وبذات الأسلوب وذات المنهج لأن القرآن الكريم هو الوسيلة الوحيدة القادرة على حل إشكاليات كل عصر مهما كان من تغيرات وتحولات وتحديات لأنه تنزيل الحكيم العليم ولشمولية أحكامه كل نظم حياة الإنسان بشرط فهمه لذا قال العلامة ابن باديس: "أيها السادة إذا أردنا أن ننهض بالقران نهضة دينية فلنفهمه ولننتفقه فيه لنعمل به قادرين قدره عارفين مزيتة وعلى أهل العلم والفضل تبعة القيام بهذا وفي حضراتهم الثقة والرجاء فليعملوا فالله مع العاملين"(م، و، ش، د، 1987، ص50) وما جمعية علماء المسلمين الجزائريين التي أسسها ابن باديس مع نخبة من العلماء والتي كان لها الأثر وما زال الدور الفاعل إلى يومنا لأكبر برهان على ذلك..

نلاحظ مما سبق أن هذه الرؤية الباديسية للنهوض بواقع بلاده تستوجب حقاقة فكرية ثقافية علمية تربوية وأخرى بشرية من علماء ومصلحين يؤسسون لثورة إصلاحية شاملة يقول ملك بن نبي" لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت ساعة النهضة وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك وبإلها من حركة جميلة مباركة"(بن نبي، 1986م، ص24)

فكان المشروع الحضاري للشيخ عبد الحميد ابن باديس لنهضة الجزائر ورقيا الثقافي والحضاري وتحريرها من الإستعمار وذلك ب:

1. بناء المدارس العربية الإسلامية الحرة
2. تأسيس المساجد الحرة
3. تأسيس النوادي الحرة
4. تأسيس المجلات والجرائد للتكوين السياسي والثقافي
5. تكوين المطابع العربية لإحياء ونشر الثقافة العربية الإسلامية في كتب ومجلات وجرائد بين أبناء الجزائر المسلمة العربية
6. تكوين فرق الكشف الإسلامية من أجل تربية الشبيبة الجزائرية تربية بدنية -شبه عسكرية استعدادا لخوض معركة الحرية والاستقلال عندما تتوفر الظروف الموضوعية لأشغال الثورة المسلحة كما حدث في ثورة نوفمبر 1954م التي انتهت وجود الإستعمار الفرنسي في الجزائر الى الأبد(تركي 2003، ص75، 76)

الفكر التربوي التعليمي الباديسي:

أهمية التربية والتعليم: من المعلوم أن بالتربية والتعليم تتقدم الحضارات وتتطور المجتمعات وتصنع الأجيال وتتميز الأمم عن غيرها، فالألمان لما انتصروا في الحرب السبعينية قالوا: " لقد انتصر معلم المدرسة ولما انهزمت فرنسا امام الألمان قال أحدهم: "التربية الفرنسية متخلفة". ولما غزا الروس الفضاء بإطلاقهم القمر الصناعي سبوتنيك قال أحد الأمريكيان:"ماذا دهي نظامنا التربوي والتعليمي؟" فرجعوا إليه ينقحونه ويطورونه ليعد لهم العلماء الذين يصنعون المستقبل .. لذلك من أول الأمور التي يجب مراجعتها حين تصاب الأمة بالنكبات أوحين تكثر في طريق تقدمها العقبات والعثرات نظامها التربوي التعليمي (فرحان، 1987م) فواقعنا التاريخي يشهد بأن التربية والتعليم كانت وسيلة هداية وطريقة خير للفرد والمجتمع والبشرية جمعاء وكان صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للإنسانية قال تعالى " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين "(الجمعة، 2) - أنشأ مدرسة للكبار دار الأرقم - أول من أسس لحو الأمية بحملة كبيرة وبصورة جماعية لما جعل فداء الأسرى بيد أن يعلم كل واحد منهم ثم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ليقوموا بتعليم غيرهم من المسلمين لتنتشر المعرفة في أمة محمد - كان المسجد للعبادة والعلم والتربية. ثم تطورت الزوايا والتكايا والكتاتيب والربط ودور الحكمة في تاريخ الحضارة الإسلامية الزاهر ثم تكونت المدارس النظامية والجامعات العريقة وبكفي الأمة الإسلامية فخرا أن الجامعة الأزهرية كانت أول جامعة في تاريخ البشرية بالمعنى الجامعي المعروف اليوم (فرحان، 1987م)

فالتربية والتعليم رسالة الأمة في هذه الحياة فيها يتربى الفرد الصالح ليؤسس به المجتمع الصالح وتنمو مفاهيم المشترك الإنساني وذلك وفق تصور الأمة عن الكون والإنسان والحياة، فالتربية وعاء وأساليب وإجراءات ينقل بها تراث الأمة عبر الأجيال وبها تتطور الحضارة عن طريق العلوم والمعارف المتجددة وتسهم التربية كذلك في تحليل وحل المشكلات الاجتماعية المعاصرة فالتربية والتعليم كالكانن الحي عملية ديناميكية تنمو في المجتمع المعين من أجل خدمة ثقافة وحضارة المجتمع (فرحان، 1987)

فقد اعتمد ابن باديس على التربية والتعليم كركن أساسي في العملية الإصلاحية فكرس حياته كلها في خدمة هذا الهدف وهم بهذا ينحو منحى الشيخ محمد عبده في اعتبار التعليم أفضل طريقة للإصلاح (بن مزور 2015)

وضعية التعليم في عصره:

كان الوضع التعليمي في زمنه يمثل صورة واضحة للصراع بين الشعب الجزائري المسلم الذي يريد أن يحيا بدينه ولدينه وبين الإستعمار الفرنسي الصليبي الذي فعل ما بوسعه عقودا من الزمن لتحويل هذا الشعب عن دينه (حميداتو، 1997م) فقد راهنت فرنسا كثيرا على التعليم سبيلا لفرنسة الشعب الجزائري وسلخه من مقوماته الوطنية ليتسنى لها استكمال المشروع الإستعماري، ضيقت على التعليم الديني واللغة العربية فأقامت المدارس الفرنسية وشجعت الجزائريين على دخولها وأعدت المناهج التربوية الكفيلة بتحقيق الأهداف المسطرة كما حاربت التعليم العربي الحر وضيقت عليه (بن مزور، 2015) فالإدارة الاستعمارية منذ 1830م حاولت فرض هيمنتها الثقافية الفرنسية بمختلف الوسائل والأساليب لأنها كانت تعي جيدا أن الإسلام هم مصدر قوة الشعب الجزائري ووحدته لذا فهي استهدفت مصادر الإسلام المتمثلة في القرآن والسنة واللغة والثقافة والهوية وذلك بمنهجية وسياسة منظمة ومدرسة ومحنكة الدهاء وذلك بتجهيل الشعب وتفقيره وتنصيره. فالاحتلال لم يكن عسكريا ماديا فحسب بل هي حرب إبادة للفكر والروح والهوية وفي إحدى التقارير الفرنسية الخطيرة التي وضعت سنة 1848م قولها: "إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها، والعمل الجبار الذي يتحتم علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين" (عمارة، 2011م، ص326) لذا نجد العلامة البشير الإبراهيمي* (ت1965م) يصف الغزو الفرنسي- كالأضرار الوافدة التي تحمل معها الموت وأسباب الموت - بمرض السل قائلا: "الإستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح، وهو في هذا الوطن أراد قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية وعبث بحرمة المعابد وحارب الإيمان بالإلحاد والفضائل بحماية الرذائل والتعليم بإفشاء الأمية والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير" (الإبراهيمي، 1997م، ص46.47)

كما أن الكاردينال لا فيجري أعلن في احتفالهم بمرور قرن على بدء احتلالهم للجزائر "كمأن الهلال في الجزائر قد غير وأن عهد الصليب قد بدأ وأنه سيستمر إلى الأبد وأن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أراجؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل" (عمارة، 2011م، ص328)

وقد قصدنا ذكر هذه الأقوال توصيفا لواقع يستدعي ثورة تعليمية من أجل نهضة إصلاحية.. وفعلنا فقد فهم العلامة ابن باديس مايراد بوطنه معلنا لخصوم الإسلام واللغة العربية أنه مع إخوانه العلماء "عقدنا المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل مايصينا وإننا على يقين من أن العقاب وإن طال البلاء لنا وأن النصر سيكون حليفنا.. إن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتها.. فالجهل الذي طال أمده دواؤه الشافي هو التعليم أما الغفلة التي توالى على الحقب فعلاجها النافع هو التذكير" (طالبي، 1997م)

مفهوم الفكر التربوي:

الفكر: عند أهل اللغة هو "إعمال الخاطر في الشيء" (ابن منظور، 1414هـ، ص65) وفي اصطلاح بعض علماء والمفكرين هو: نتيجة عملية التفكير والتفكير التي يقوم به الإنسان وتتمثل هذه النتيجة في خواطر وآراء وتصورات ومعتقدات يتم على أساسها تبني موقف أو اتخاذ قرار وممارسة سلوك "والتفكير" مصطلح قرآني يعني درجة عالية من الوعي والمتابعة والمعادة وقد عبر ابن عاشور في تفسيره عن ذلك: "والتفكير تكلف الفكرة وهو معالجة الفكر ومعادة التدبير في دلالة الأدلة على الحقائق" (ابن عاشور، 1987م) والفكر البشري ليس مبنوتا عن العاطفة ففي النفس قوتان قوة تفكير وقوة وجدان والله يخاطب الفكر والعاطفة مما يدعو إلى النظر والتفكير والتعلم والإكتشاف " (الملكوي، 2020م، ص20.21)

وعند طه جابر العلواني في مؤلفه "الأزمة الفكرية المعاصرة": الفكر إسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء كان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلوم أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء " (العلواني، 1989م، ص15)

يتضح لنا مما سبق أن الفكر هو خاصية مميزة للإنسان وهو آراء وتصورات واعتقادات تؤسس لسلوك أو قرار

التربية: والأصل اللغوي لمفردة التربية من الرب إذ الرب في الأصل: التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام يقال: رباه ورببه وربيته (الأصفهاني، 1412هـ، ص336)

وارتبط لفظ التربية في الحقل التربوي بجميع مراحل العمران التي يمر بها الإنسان، "والمعنى العام للتربية يختص بتنمية الإنسان في جميع جوانب شخصيته ويتضمن ذلك: التعليم والتأديب والوعظ و التنشئة والتثقيف والتهديب وغير ذلك لتحقيق ما ذكره تعالى عن تمكين الإنسان في الأرض لإقامة الإنسان والعمران (الملكاوي، 2020م) وعرفها دوركايم (DURKHEIM) هي: "العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تتضج بعد من أجل الحياة الاجتماعية إن هدفها أن تثير لدى الطفل وتنمي عنده طائفة من الأحوال الجسدية والفكرية والخلقية التي يتطلبها منه المجتمع السياسي في جملته وتتطلبها البيئة الخاصة التي يعد لها بوجه خاص" (غي أفانزيني، 1981م، ص41)

التربية في نظر ابن باديس: هي ما يحدثه النشاط التعليمي من تغيير إيجابي في جوانب شخصية المتعلم في فكره ولسانه ووجدانه وسلوكه.. وهذا المعنى محدد في القانون الأساسي الذي وضعه ابن باديس عند تأسيس جمعية التربية والتعليم حيث بنى القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم بالمحتفظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليمهم الصنائع فالتربية والتعليم عنده متلازمان ومتكاملان ومترابطان..

وحين نحاول استخلاص ما يتضمنه طرح ابن باديس لموضوع التربية نجده يلخص التربية في كونها جهدا إنسانيا هادفا يوجه لرعاية الفرد والمجتمع ويسعى لبناء الفكر وتثقيف العقل وتقويم الأخلاق (فضيل، ماي، 2012م) فالتربية إذا ما هي إلا عملية بناء وتأديب الإنسان في جميع مراحل حياته وفي شتى المجالات إعدادا لمهمة الإستخلاف والعمران.

ونجد الشيخ العلامة ابن باديس قد جمع بين مهنة التعليم والتربية بمفهومهما الشامل كما جمع الى جانب العلم العمل بما يعلم وجمع الى جانب الفكر العميق بمشاكل العصر ومتطلباته، العمل بما يفكر فيه أي أنه رجل قد جمع بين العلم والعمل به في المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية والإسلامية للمجتمع الجزائري العربي المسلم. ويلاحظ أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد مارس التربية بمعناها الشامل:

- تربية علمية عن طريق التدريس لتلاميذه
- تربية أخلاقية بضرب المثل والقوة الصالحة لهم
- التربية السياسية والوطنية لعموم أفراد الشعب عن طريق الصحافة الوطنية التي أنشأها (المنتقد. الشهاب. السنة النبوية. الشريعة المطهرة. الصراط السوي. البصائر) فكان بحق رائدا للنهضة الصحافية العربية في الجزائر
- التربية الدينية بنشر الإصلاح والهداية الإسلامية بين طلبته وعموم المواطنين
- تربية عسكرية عن طريق فرق الكشافة الإسلامية التي كونها في معظم جهات الوطن ""(تركي، 2003م)

الفكر التربوي: يعني الآراء والمعتقدات والأهداف التي تحكم الممارسات التي تستهدف تنشئة الأبناء وإعدادهم لمسؤوليات الحياة بعمليات وأساليب مقصودة تتم في الأسرة وفي مؤسسات التعليم والتدريب والتوجيه والتثقيف والتنوعية في المجتمع (الملكاوي 2020م، ص22)

و هو الناتج الرمزي للمعالجة العقلية الذي يقوم بها الفرد عند تحليل قضية نظرية أو ممارسة عقلية أو مشروع إصلاحية أو تقنية تربوية أو طريقة تدريس أو نظام تنفيذي (زكي الميلا، 2001م، ص22)

ويمكننا أن نقول الفكر التربوي تلك النظريات والمفاهيم والآراء والمبادئ الفكرية التي توجه العملية التربوية من خلال ما أبدعه الفكر البشري من مفكرين وفلاسفة من أجل تنمية شخصية الإنسان وإكسابها قدرات من أجل الإسهام في البناء الحضاري للأمة وهذا يتطلب رؤية شاملة ومتوازنة ومتكاملة للفكر التربوي

العلم: إن مفهوم العلم عند ابن باديس هو: "إدراك جازم مطابق للواقع عن بيئة سواء كانت تلك البيئة حسا أو مشاهدة أو برهانا عقليا كدلالة الأثر على المؤثر والصنعة على الصانع، فإذا لم تبلغه البيئة بإدراكه رتبة الجزم فهو ظن هذا هو الأصل.. واستشهد بقوله تعالى: "وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين" (يوسف 81) فسمى القرآن إدراكهم لما شاهدوا علما (ابن باديس، 2009م، ص127)

التعليم: التعليم عند ابن باديس هو "الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره" (مطبوعات و ش د 1985، ص74) أي شخصية الإنسان وسلوكه وتفاعله في مجتمعه مصطبغ بصبغة المعرفة التي تلقاها، فالتعليم بناء للإنسان وتكوين وتهذيب لفكره وروحه..

فالتعليم عنده ليس مجرد تلقين المعارف من غير أن يكون لذلك أساس فكري أو غاية تربوية واجتماعية، فهو رسالة تربوية هادفة غايتها بناء الذات الإنسانية وإعداد الفرد للحياة التي تنتظره لأن المحتوى المعرفي الذي يقدم للمتعلمين هدفه اكسابهم الصفة الأدائية والسلوكية (فضيل مقال 2012)

فالتعليم عند ابن باديس تجديد للإسلام الصحيح المبني على قضائل الأعمال لذا فكان منهجه في مساره التعليمي يرتكز على الكيف لا الكم وهذا ما أكدته لنا صاحبه في سيرته النهضوية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في معرض حديثه عن ابن باديس: "وكان رحمه الله يؤثر التربية على التعليم ويحرص على غرس الفضائل في نفوس تلاميذه قبل غرس القواعد الجافة في أدمغتهم ويدرسهم على أن ينهجوا نهجه في العمل للعروة والإسلام" (الإبراهيمي، 1997م، ص28) لذا فقد صب الشيخ ابن باديس اهتمامه على إصلاح التعليم الذي لن يصلح إلا بصلاح العلماء الذين بهم صلاح حال المسلمين لأن العلماء بمثابة القلب من الجسد صلاحه وفساده متوقف عليه، فقد عد رحمه الله أن صلاح التعليم هو أساس الإصلاح والنهوض ولن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ولن يصلح العلماء إلا بصلاح التعليم فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ويقصد بالتعليم من حيث وجهة نظره الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقفون به فيه.. وطبعاً هذا على منهاج النبوة ووفق التعليم الديني السني السلفي لأن التعلم والتعليم في القرون الفضلى مبناها على التفقه في القرآن والسنة مؤكداً ذلك بقوله: "لن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي صورة تعليمه (م، و، ش، د1985م، ص74) مستندا إلى مرجعية كون محمد صلى الله عليه وسلم بعث معلماً للناس دينهم من خلال قوله وفعله وسيرته وسلوكه بتلاوته للقرآن وبيانه للسنة وكذلك استشهد بكتاب موطأ الإمام مالك الذي اعتمد على الآيات القرآنية وما صح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وكذا كتاب الأمل للشافعي حيث بنى فقهه على الكتاب وما ثبت عنده من السنة وذات المنهج اعتمده ابن باديس في كتابه العقائد الإسلامية من خلال الآيات والأحاديث النبوية فأصالة التعليم مبناها على التفقه في القرآن والسنة سواء في القرون الفضلى أو في عصرنا ونستطيع أن نقول أن ابن باديس يميل إلى ربانية التعليم، قال تعالى: "ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" (آل عمران، 79) لذا فقد كانت له رؤية ومنهج وبرنامج في إصلاح التعليم في جامع الزيتونة التي تعد خطوة عملية ظاهرة.

أهداف التربية والتعليم الباديسي: يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- 1- إحياء اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في البلاد
- 2- تقوية الشعور بالشخصية الإسلامية الجزائرية و الدفاع عنها.
- 3- تطهير الدين من الخرافات والبدع
- 4- المحافظة على التراث العربي الإسلامي في الجزائر
- 5- العمل على تحرير الجزائر من سيطرة الاحتلال الأجنبي (تركي، د، ت ص153)

لقد استطاع تحقيق أهدافه عن طريق نشاطاته ومشاريعه المكثفة كتأسيس النوادي والمدارس الابتدائية والكليات الإسلامية والجمعيات والمساجد وإرسال البعثات الطلابية إلى الخارج والقيام بأعمال الوعظ والإرشاد في كامل التراب الوطني وغيرها من الإنجازات...

طريقته في التعليم:

كانت طريقته عملية تجمع بين جانب النظريات العلمية لمختلف العلوم التي كان يدرسها لتلاميذه والجانب التطبيقي أو العملي لتلك العلوم.. وكذا معاملته الخاصة بتلاميذه من الحنان والحرص على مستقبلهم والتوجيه السليم لكل واحد منهم مما أنشأ بينهم صلة روحية متينة ساعدته على تكوين جيل من العلماء العاملين.. وقد سئل ذات مرة لما لا تؤولف كتباً علمية تبقى تراثاً للأجيال بعدك ؟ فأجاب: "إني مشغول بتأليف الرجال عن تأليف الكتب" وفي تربية أبناء الجزائر تربية إسلامية ثورية تكون منهم قادة المستقبل حدثنا عنها رفيق دربه في قيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محمد البشير الإبراهيمي: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وعبد الحميد ابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في عام 1913 في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم وإنما تربيته على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا" (تركي 2003م، ص141) كان أول عمل بدأ به هو فتح صفوف لتعليم العلم حيث بدأ التدريس المسجدي بنفسه بجامع الأخضر بقسنطينة مفسراً للقرآن الكريم وانهال عليه طلاب العلم من كل مكان.. وظهرت النتائج

المرجوة لحركته من السنة الأولى فكانت خطوته هذه الحجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر وهذه المجموعة من التلاميذ هي الكتبية الأولى من جند الجزائر (الإبراهيمي، 1997م) وبعدها أصبح هناك جيش من التلاميذ يحمل الفكرة والعقيدة مسلح بالخطباء والكتّاب والشعراء يجمعهم إيمان واحد وحماس متأجج. كان الحدث الأعظم هو إخراج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى النور (ماي 1931م) ابن باديس رئيساً لها والبشير الإبراهيمي وكيلاً نائباً عنه اعتمدت الجمعية على الأصول التالية: 1- تنظيم حملة على البدع والخرافات والضلال في الدين بالخطب والمحاضرات ودروس الوعظ في المساجد والأندية والأماكن العامة والخاصة وحتى في الأسواق. والمقالات في الجرائد الخاص التي أنشئت لخدمة الفكرة الإصلاحية 2- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار بما تصل إليه أيديهم من الأماكن و في بيوت الأباء ربها للوقت قبل بناء المدارس 3- تجنيد المئات من التلاميذ المتخرجين ودعوة الشباب المتخرجين من الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب 4- العمل على تعميم التعليم العربي للشباب على النمط الذي بدأه ابن باديس (الإبراهيمي، 1997)

عوامل النجاح التي تهيأت للشيخ عبد الحميد ابن باديس في عمله التربوي:

1. علم واسع بعلوم الدين واللغة والأدب والتاريخ والحضارة الإسلامية وبعض علوم الكون وال عمران
2. استعداد فطري قوامه ذكاء قلب وصفاء نفس وفصاحة لسان وإرادة قوية ووطنية صادقة وحب كبير في نشر العلم والهداية الإسلامية بين أفراد المجتمع الذين حرّمهم الإستعمار من نور العلم والمعرفة أكثر من قرن وثلاث قرن من الزمان (1830-1962)
3. بيئة علم وتقوى سواء داخل أسرته في قسنطينة أو في المعاهد التي تلقى العلم فيها في الجزائر ثم في تونس أو البيئة الاجتماعية التي كان يحتك بها..
4. تجارب إنسانية واسعة استفادها من رحلته الطويلة إلى العالم العربي.. في كل من الحجاز وبلاد الشام ومصر وتونس
5. دوافع نفسية وروحية قوية للعمل والجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ومحاربة الفساد والبدع والخرافات
6. وطنية متأججة لتحرير الوطن من الإستعمار
7. ابن باديس عالم مسلم عامل بعلمه (تركي، 2003م، ص 65-66)

النتائج:

- إن مشروع ابن باديس الإصلاحي برؤيته الشاملة لأهداف النهوض الحضاري لاغنى عنه من حيث دراسة معالمه واستلهاهم ما يخدم النهضة المنشودة اليوم مادام هناك ثابت في الأصول ومتغير حسب الأحوال والظروف ولاسيما المنظومة التربوية التعليمية.
- فالدرس المستخلص والمستفاد من التجربة الباديسية في هذا المجال هو ضرورة توفر تصور شامل لفلسفة تربوية واضحة المعالم محددة الأهداف يشرف عليها العلماء والخبراء من أهل الذكر والحل والعقد في الحركات الإصلاحية أو المؤسسات الحكومية المسؤولة والمشرفة على قطاع التربية لتفادي أزمة التكامل في البناء التربوي بسبب استيراد المناهج التربوية وتجربتها على الجيل
- إن تأسيس هذا المنهج الإصلاحي الملهم والمثمر أمام تلك التحديات الثقافية والفكرية في البرنامج الإستعماري يعد جهادا ورباطا أمام حرب الفائر فيها للقوي الذكي النقي كما يقول صاحب شروط النهضة مالك بن نبي " النهضة لا تقوم إلا بأيدي الأتقياء والأذكياء" وهذا حسب سنة التدافع والتي هي من السنن النفسية والاجتماعية والتاريخية لها صفة العموم والشمول وهي مرتبطة بفعل الإنسان وأثره في الحياة والتي بها يحفظ صلاح العمران البشري ويزال بها الفساد عن الأرض ويحافظ بها على الحيوية في الكون وتدفع بها الطاقات نحو التنافس " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين " (251 البقرة) " ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها الله ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز " (40 الحج)
- التخطيط الإستراتيجي وفقه واقع المرحلة الراهنة مع إدراك طبيعة التحديات يعد أساسيات ودعائم كل نهضة وفي أي مجال كان تربوي تعليمي أو غيره لإعادة التشكيل الثقافي في الوعي الحضاري
- ندرك قيمة وأهمية المشروع التربوي التعليمي الباديسي بكل متعلقاته من خلال الثمار والأثار والنجاح الذي حققه والأهداف التي توصل إليها الإنسان في الجزائر و ظهرت أبعاده في تلك المدة وإلى يوم الناس هذا.. فالقرآن الكريم و

الإسلام الذاتي بالفكر المتجدد والفاعل فعلا كان وما يزال عامل مهم وأساسي في بناء حركة النهوض الحضاري للأمة. فكانت ثورة علمية تحريرية تعليمية شملت المناهج والأساليب والمضامين بعقلية ناقدة وهادفة قادرة على إعداد جيل للقيادة والريادة.

- حرص ابن باديس على تحديد أسس تربوية ممثلة في الكتاب والسنة، القادران على إعادة إنتاج العقل المسلم المدرك لذاته ولواقعه المنتمي لحضارته القادر على صناعة العقل الحضاري..
- ويبقى القرآن مصدر الوعي والإلهام وتجديد المسار وهذا ما ينبغي النظر في شأنه اليوم لأن القرآن هو مصدر الهداية والتمكين الخالد

المصادر و المراجع:

- أحمد أبو سليمان عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2003م
إسحاق فرحان أحمد، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب، الجزائر، د، ط، 1987م
ابن نبي مالك: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي دار الفكر المعاصر لبنان 2002م (ط1 1988)
ابن باديس عبد الحميد، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير)، ط1، دار الرشيد 2009
ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج5
ابن نبي مالك، شروط النهضة، دار الفكر، د ط، 1986م
ابن باديس عبد الحميد، مجلة الشهاب ج4-5م 14 يونيو 1938م، ص291-عدد خاص بختم تفسير القرآن الكريم والإحتفالات التي جرت في قسنطينة بهذه المناسبة -في صيف 1938م)
الأصفهاني الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار العلم، دمشق، 1412هـ
الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت502م) مفردات ألفاظ القرآن، دمشق دار العلم، الدار الشامية 1412هـ،
الإبراهيمي أحمد طالب، أثار الإمام البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي ط1، 1997م
البوشخي الشاهد، القرآن والانسان أية علاقة، دط، دت، مطبعة أنفوبرانت
الملكاوي فتحي حسن، الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط1 2020م مكتب الأردن عمان
بن مزور عمار، عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، ط2، 2015م دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر
تركي رابح، الشيخ عبد الحميد ابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط - د، ت الجزائر
حميداتو مصطفى محمد، عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، كتاب الأمة ع57، ط1، 1997م قطر
زكي الميلاد، الفكر الإسلامي تطورات ومسارته المعاصرة، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001م (ص22) عمارة محمد، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، ط4، 2011م، مصر
طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و، م، أ)، 1989م
طالب عمار -أثار ابن باديس- دار الغرب الإسلامي بيروت، ط3، 1995م
غي أفانزيني، الجمود والتجديد في التربية المدرسية، تر: عبد الله عبد الدايم بيروت، دار العلم للملايين، 1981م
مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ط1، 1985م

المواقع الإلكترونية:

- فضيل عبد القادر، الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب، الثلاثاء 24 جمادى الآخرة 1433هـ 2012-05-15
<https://ooulama.dz>
الشعراوي محمد متولي، ماهو دور الإيمان في تهذيب الغرائز وكبح جماحها، "دين ودنيا" 2020-2-16
(www.vetogate.com)

الهوامش:

***محمد النخلي:** (1869م-1286هـ-1924م-1342هـ) محمد بن محمد بن حمودة النخلي القسراوي القيرواني ولد بمدينة القيروان (تونس) وتوفي في تونس العاصمة من رواد النهضة الفكرية والإصلاحية بتونس في العصر الحديث كما يعتبر من أبرز أتباع مدرسة الإمام محمد عبده والعاملين على نشرها في تونس

أحد أساتذة ابن باديس في جامع الزيتونة الذين تأثر بهم تأثراً كبيراً أثناء دراسته في تونس (1908-1912) من أعلام جامع الزيتونة في عصره كان هو والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يشار إليهما بالرسوخ في العلم وسعة الإطلاع وجودة البيان مع الميل إلى آراء الشيخ محمد عبده، دخل جامع الزيتونة سنة 1304-1886 فأخذ على جلة أعلامه كالمشايش عمر بن الشيخ وسلم بوجاجب ومحمد الطيب النيفر ومصطفى رضوان ومحمد النجار ومحمود بن محمود وأحمد بن مراد وصالح الشريف، وبعد تخرجه انتصب للتدريس بجامع الزيتونة وتدرج واجتاز المناظرات إلى أن وصل مدرسا من الطبقة الأولى وتخرج عليه كثيرون وكان منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وفي سنوات التدريس ختم الكتب العالية في علوم شتى فشاع بذلك ذكره وارتفع قدره وكانت له شجاعة أدبية في الجهر بآرائه المخالفة للمتعارف في وسطه ومنها آراء الشيخ محمد عبده في وقت كان فيه الميل إلى مدرسة الشيخ عبده واعتقاد صحة أقوالها عنوان زندقة وانحراف عن الطريق السوي (تركي، 2003م)

(رابع تركي)

***الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889م-1965م)**

وهو رفيق ابن باديس وزميله في قيادة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر ونائبه في رئاسة جمعية العلماء. ثم قاد الجمعية بعد وفاته وتعرف عليه ابن باديس في المدينة المنورة سنة 1930م عندما ذهب لأداء فريضة الحج ربطت بينهما صداقة قوية لم تنقطع إلا بوفاة ابن باديس (تركي، 2003 م)